١١ ـ محاورات أفلاطون

الحوار الثالث

فيدون أو خلود الروح

ترجمة الأستاذ زكي نجيب محمود

ـ وفي هذا يزدري الفيلسوف البدن ، فتفر منه روحه وتود أن تنعزل بنفسها

ـ هذا صحيح

ـ حسناً ، ولكن بقي شيء آخر يا سمياس ، أتمت عدل مطلق أم ليس له وجود ؟

ـ لا ريب في أنه موجود

ـ وجمال مطلق وخير مطلق ؟

ـ بالطبع

ـ ولكن هل حدث لك أن رأيت واحداً منها بعينيك ؟

ـ يقيناً لم أره

ـ ألم تدركها قط بأية حاسة جثمانية أخرى ؟ (ولست أتحدث عن هذه وحدها ، بل كذلك عن العظمة المطلقة وعن الصحة وعن القوة وعن كُنْه كل شيء ، أي حقيقة طبيعته) ألم يأتك علمها قط خلال أعضاء الجسد ؟ أليس الذي يريد عقله على أن يتصور كنه الشيء الذي هو بصدد بحثه أضبط تَصوُّر ، إنما يسلك بذلك أخصرَ السبل التي تؤدي الى معرفة طبائعها الكثيرة ؟

ـ يقيناً

ـ أما من يظفر بمعرفتها أسمى ماتكون نقاء ، فهو ذلك الذي يسعى اليها واحدة واحدة ، فيتناولها بالعقل وحده ، دون أن يأذن للبصر أو لغيره من الحواس الأخرى بالتطفل أو التدخل في مشاركة العقل وهو منصرف الى التفكير ، بل ينفذ بأشعة العقل ذاتها ، بكل صفائها ، الى ضوء ما فيها من حقائق ، بعد أن يكون قد تخلص من عينيه وأذنيه ، بل ومن كل جسده ، الذي لا يرى فيه إلا عنصر تهويش ، يعوق الروح عن إدراك المعرفة ما دام متصلاً بها ـ أليس أرجح الظن أن يظفر مثل هذا الرجل بمعرفة الوجود ، إن كانت معرفته في مقدور البشر على الاطلاق ؟

فأجاب سمياس ـ إن في ذلك يا سقراط لحقاً رائعاً

ـ أوليس لزاماً على الفلاسفة الحق إذا هم اعتبروا ذلك كله أن يغوصوا في أفكارهم ، فاذا ما التقوا تحدث بعضهم الى بعض عن تفكيرهم بمثل هذه العبارة : إنا قد اهتدينا الى سبيل من التأمل قمينة أن تنتهي بنا وبالجدل الى هذه النتيجة : وهي أنه ما دمنا في أجسادنا وما دامت الروح ممتزجة بهذه الكتلة من الشر ، فلن تبلغ شهوتنا حدَّ الرضى ، وإنها لشهوة الحقيقة ، ذلك لأن الجسد مصدرٌ لعناء متصل ، علته هذه الحاجة الى الطعام ، وهو كذلك عرضة للمرض الذي ينتابنا فيحول بيننا وبين البحث عن الحقيقة ، وهو كما يقول الناس ، أبداً لايدع لنا السبيل الى تحصيل فكرة واحدة ، لما يملأنا به من صنوف الحب والشهوات والمخاوف والأوهام والأهواء ، وكل ضرب من ضروب الجهالة ، وإلا فمن أين تأتي الحروب والمعارك والأحزاب إن لم تكن آتية من الجسد وشهوات الجسد ؟ فالحروب يثيرها حب المال ، والمال إنما يُجمع من أجل الجسد وخدمته ، ومن جراء هذا كله يضيع الوقت الذي كان ينبغي أن ينفق في الفلسفة ، هذا ولو تهيأ للفلسفة الميل والفراغ لنفث الجسد في مجرى التأمل الشغب والاضطراب والخوف ليحول بيننا وبين رؤية الحقيقة ، وقد دلت التجارب جميعاً على أنه لو كان لنا أن نظفر عن شيء ما بمعرفة خالصة لوجب أن نتخلص من الجسد ، ولزم على الروح أن تشهد بجوهرها جواهر الأشياء جميعاً ؛ ولست أحسبنا إلا ظافرين بما نبتغي ، وهو ما نزعم أننا محبوه ، وأعني به الحكمة ، لا أثناء حياتنا بل بعد الموت كما تبين من الحديث . فان كانت الروح عاجزة عن تحصيل المعرفة وهي في رفقة الجسد ، فالنتيجة كما يظهر أحد أمرين : إما أن تكون المعرفة ليست على الاطلاق حقيقة بالتحصيل ، وإما أن تحصيلها يكون بعد الموت إن كانت جديرة به ؛ فعندئذ ، وعندئذ فقط ، تنعزل الروح في نفسها مستقلة عن الجسد ، وأحسب أننا في هذه الحياة الحاضرة نسلك أخصر السبل إلى المعرفة ، لو كنا نبذل نحو الجسد أقل ما يمكن

بذله من عناية وشغف ، فلا نصطبغ بصبغة الجسد ، بل نظل أصفياء إلى الساعة التى يشاء فيها الله نفسُه أن يَحلّ وثاقنا ، فاذا ماتطهرنا من أدران الجسد ، وكنا أنقياء ، وتجاذبنا مع سائر الأرواح النقية أطراف الحديث ، تعرفنا أنفسنا فى الأشعة الصافية التى تضيء فى كل مكان ، فلا ريب أن ذلك هو ضوء الحقيقة ، فلن يُؤْذَنَ لشيء دنس أن يدنو مما هو طاهر ، إنه لن يسع محبي الفلسفة الحقيقية ، ياسمياس ، إلا أن يفكروا فى هذه الألفاظ وأشباهها ، وأن يقولها بعض لبعض ، أفأنت موافق على ذلك ؟

ـ يقينا يا سقراط

ـ ولكن إن صح هذا ياسديق ، فما أعظم الأمل إذن فى أنني إذا مابلغت غاية رحلتى ، فلن يقلقنى هذا الهم الشاغل الذى صادفنى وإياكم فى حياتنا الأولى ؛ أما وقد تحددت ساعة رحيلى ، فذلك ما أرْحَلُ به من رجاء ، ولست فى ذلك فريداً ، بل هكذا كل رجل يعتقد أن عقله قد تطهر

فأجاب سمياس ـ يقينا

ـ وماذا يكون التطهير غير انفصال الروح عن الجسد كما سبق لى القول ، واعتياد الروح أن تجمع نفسها وتحصرها فى نفسها بعيداً عن مطارح الجسد جميعاً ، وانعزالها فى مكانها الخاص ، فى هذه الحياة كما فى الحياة الأخرى ، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً ، وفكاكها من أغلال البدن ؟

فقال ـ هذا جد صحيح

ـ وماذا يكون ذلك الذى يُدعى الموت سوى هذا الانفصال نفسه ، وتحلل الروح من الجسد ؟

فقال ـ لاشك فى ذلك

والفلاسفة الحق وحدهم دون غيرهم يبحثون فى انطلاق الروح ويتمنون أن يكون . اليس انفصال الروح وفكاكها من الجسد هو موضوع بحثهم الخاص ؟

ـ هذا صحيح

ـ إنه لتناقض مضحك كما قلت فى بادىء الأمر ، أن ترى أناساً يحاولون بالدراسة أن تكون حياتهم قريبة من حالة الموت ما استطاعوا ، فاذا ما أدركهم الموت أشفقوا منه .

ـ يقيناً

ـ إذن ياسمياس . فمادام الفلاسفة الحق لا ينفكون يبحثون فى الموت ، فالموت عندهم ، دون الناس جميعاً ، أهون الخطوب . أنظر الى الأمر على هذا النحو : كم يبلغ منهم التناقض أن يناصبوا الجسد عداوة متصلة ، وأن يتمنوا لو خلصت لهم الروح وحدها ، فاذا ما أجيبوا الى ذلك ، كان منهم السخط والجزع ، فى مكان اغتباطهم بالرحيل الى ذلك المكان ، حيث يؤملون إذا ما بلغوه أن يظفروا بما قد أُحبُّوا فى الحياة (ألا وهى الحكمة) ، وأن يتخلصوا فى الوقت نفسه من مرافقة عدوهم . وكأين من رجل تمنى أن يذهب الى العالم الأسفل ، آملاً أن يصادف هناك معشوقة دنيوية ، أو زوجاً ، أو ولداً ، ليتحدث إليهم . أبعد ذلك يشفق من الموت مَنْ هو للحكمة محب صحيح ، ويعتقد كذلك أن لن تتاح له بحق إلا فى العالم الأسفل ؟ أليس يقابل الرحيل بالبشر ؟ إنه ياسديق لابد فاعل إن كان فيلسوفاً حقاً ، لأنه سيوقن يقيناً ثابتاً أنه لا يستطيع أن يلتمس الحكمة فى نقائها إلا هناك فقط ، دون أى مكان آخر . وإن صح هذا ، فأبلغ به من أحمق ـ كما سبق لى القول ـ إن كان يَفْرَقُ من الموت

فأجاب سمياس ـ لاريب فى أنه فاعل

وأنت إذا رأيت رجلاً يجزع من اقتراب الموت ، كان جزعه دليلاً قاطعاً على أنه ليس محباً للحكمة ، ولكنه محب للجسد ، وربما كان فى الوقت نفسه محباً للمال ، أو القوة ، أو كليهما

فأجاب ـ هذا جد صحيح

ـ إن ثمت يا سمياس لفضيلة تدعى الشجاعة . أليست هذه صفة خاصة بالفلسفة ؟

ـ يقينا

ـ وكذلك الاعتدال . أليس الهدوء ، وضبط النفس ، وازدراء العواطف ، التى يسميها الدهماء أنفسهم بالاعتدال ، صفة مقصورة على أولئك الذين يحتقرون الجسد ويعيشون فى الفلسفة ؟

ـ ليس فى ذلك خلاف

ـ وأنت إذا نظرت إلى الاعتدال والشجاعة عند سائر الناس ، ألفيت بينهما ، فى حقيقة الأمر ، تناقضاً

ـ وكيف ذلك يا سقراط ؟

فقال ـ إنك عليم بأن الناس بصفة عامة ينظرون إلى الموت شراً وبيلاً

فقال ـ هذا صحيح

(يتبع)

زكى نجيب محمود